مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 13 عدد: 2، يونيو 2024
ص: 157 - 173 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الهوية الوطنية وتجلياتها في ديوان الشيخ أحمد سحنون

National Identity and its Manifestations in "The Diwan of CheikhAhmed Sahnoun"

عائشة بومهراز*
Aicha boumehraz
جامعة محمد الصديق بن يحيى- جيجل (الجزائر)
University of Mohamed Seddik Ben Yahia-jijel-(Algeria)
aicha.boumehraz@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال: 2024/03/21	تاريخ القبول: 2024/04/06	تاريخ النشر: 2024/06/02

ملخص البحث

تعدُّ مسألة الهوية الوطنية من المسائل المحورية التي طرحها الشعراء الجزائريون في نصوصهم وأشعارهم -الحديثة والمعاصرة- في محاولة منهم للردّ على القهر الذي مارسته الأزمنة الاستعمارية عليهم، وعلى أبناء وطنهم الحبيب، ومحاولتها طمس معالم الهوية الجزائرية والانتماء الحضاري للأمة الإسلامية بشتى الطرق.

وبرزت كوكبة من الشعراء أمثال: مفدي زكريا، أحمد مكي، محمد الهادي السنوسي، محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون وغيرهم، حملت على عاتقها لواء الدفاع عن الأرض والعروبة والإسلام، خدمة للقضية الكبرى التي تعمل على تحقيقها، ألا وهي ضرورة الحفاظ على الهوية والوطن والتاريخ وتأكيد الانتماء.

وتسعى هذه الورقة البحثية للالتفات إلى صوت من هذه الأصوات المتميزة، ممثلا في صوت الشاعر "أحمد سحنون"، لرصد تشكّلات مقومات الهوية الوطنية في شعره، وفتح آفاق القراءة والتنقيب فيه، لإبراز قيمه وطاقاته ومحاولة الاستفادة منها فكريا وجماليا.

فيا ترى كيف تجلّت ثيمة الهوية الوطنية على مستوى نصوصه الشعرية؟. وما القضايا التي طرحها؟.

الكلمات المفتاح: هوية وطنية، شعر جزائري، أحمد سحنون، دين، لغة، وطن.

Abstract :

The issue of national identity is one of the central issues raised by Algerian poets in their texts and poems - both modern and contemporary in an attempt from themto respond to the oppression practiced by colonial times and their beloved countrymen, and their attempt to obliterate the features of the Algerian identity,

* عائشة بومهراز : aicha.boumehraz@univ-jijel.dz

and the civilized belonging to the Islamic nation by all means. A constellation of poets, such as MufdiZakaria, Ahmed Makki, Muhammad Al-Hadi Al-Senussi, Muhammad Al-Eid Al-Khalifa, Ahmed Sahnoun...) has emerged as the champio of the defense of the land, Arabs, Arabism and Islam in service to the great cause that it is working to achievewhich is the necessity of preserving on identity, homeland, history and heritage.

Through this intervention, we will try to pay attention to one of these voices, represented by the voice of the poet "Ahmed Sahnoun", trying to stop at the manifestations of national identity in his poetry, based on revealing the most important issues he raised in his poems. How did the theme of national identity manifest itself at the level of his poetic texts? And what issues did he raise?

Keywords: national identity, Algerian poetry, AhmadSahnoun, religion,languag, country .

مقدمة:

تترجم الكتابة الإبداعية في معظم الأحيان مختلف الأزمات المتعلقة بالوجود الإنساني، وحالات التوتر والاهتزاز التي تصيب الذات من وقت لآخر، وتفقدها في كثير من الأحيان الشعور بالوحدة والثبات، لتنطلق هذه الأخيرة، في رحلة بحث دائمة عن أناها وموقعها، علّها تعيد لنفسها بعضا من التوازن، وغالبا ما تلجأ إلى تحقيق ذلك على مستوى المتخيل من خلال عمليات الاستعادة والإسترجاع، حيث تعمل على استحضار ثوابتها محاولة الإعلاء من شأنها، مع التغنّي ببطولاتها وانتصاراتها، واستحضار شخصياتها التاريخية والوطنية، كوسيلة منها للحفاظ على الهوية، وعندما تصل أمة أو مجتمع ما إلى درجة قصوى من التوتر والصراع، تنبثق تشكيلات خطابية مأزومة، وأنماط تعبيرية مختلفة، تعبّر عن الذات والهوية والانتماء، وتصبح الكتابة بصفتها تجلٍّ لذات المبدع، ترجمة لحالات هذا الصراع والتوتر، مهما كان نوعه داخليا أو خارجيا، حضاريا أو قوميا، إنّها بالأحرى ترجمة لحالات الضياع والخوف من فقدان الهوية، بحثًا عن التماسك، بهدف إعادة الإنسجام إلى الذات والمجتمع.

ويظهر أنّ تجربة الكتابة الجزائرية –شعرها ونثرها- لم تكن بعيدة عن واقع الصراع والتوتّر، وقضايا الذات والآخر والهوية، كيف لا والجزائر تتعرّض للاحتلال الفرنسي الغاشم، الذي راح يعمل على نشر الجهل

والتخلّف والخرافات، ومحاربة العلم والعلماء، وعليه، فقد سخر الأدباء والشعراء والكتاب أقلامهم للدفاع عن الوطن، وانشغلوا بقضايا التراث والتاريخ، حفاظا على مقوّمات الهوية الوطنية، وقد برزت على مستوى نصوصهم وأشعارهم بصورة جلّية.

وتسعى هذه الورقة البحثية، لنشر الوعي بضرورة بعث الروح في الإنتاج الشعري الجزائري، والاهتمام بالكشف عن قيمه وطاقاته وإمكاناته، والانفتاح على مختلف القضايا التي طرحها، ومنها قضية الهوية الوطنية عند الشعراء الجزائريين، وتحديدًا عند الشاعر "أحمد سحنون"، حيث من الممكن أن تسمح نصوصه الشعرية المشبّعة بالروح الوطنية، بإعادة ربط القارئ/ المتلقي بهويته ووطنيته وتاريخه، ومن ثم، تسمح باستعادة مختلف القيم المندثرة/الضائعة في المجتمعات الجزائرية.

فيا ترى ما هي مقومات الهوية الوطنية؟. وما تجلياتها عند الشاعر أحمد سحنون؟

أولا. الشعر الجزائري وقضايا الوطن:

لم يكن الشعر الجزائري سواء خلال الفترة التي سبقت ثورة التحرير أو التي بعدها، بعيدا عن الأحداث والوقائع التي شهدتها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، فلقد تأثر بتلك الأحداث، وعبّر عن رفضه للأوضاع، انطلاقا من نقمته على المحتل وإبراز تمسّكه بالتراث والدين، فكان شعرًا وطنياً ملتزماً بقضايا الوطن، حريصًا على ترسيخ علاقة الإنسان بقيمه وأرضه وتراثه، وتعزيز الشعور بالانتماء إلى وطن العروبة والإسلام، ردًّا على الاحتلال الفرنسي الذي كان يحاول طمس الهوية الوطنية، وهنا يحضرنا قول "لمحمد غوالمي"، حيث يقول متحدثا عن دور الشعر آنذاك: «إننا نهاجم به (الشعر) الدخيل وأذنابه، وندافع عن كيان الأمة في تحرير وطنها ولغتها ودينها، بعبارة أوضح، كنا نهدم به كل وضعية يريد الاستعمار أن يجعلها قانونًا لنا».[1]

لقد انشغل جلّ الشعراء الجزائريين في الواقع، بقضايا وطنهم المحتل، فكانت تؤرقهم همومه، وتزعزع ثباتهم «إنّ شعراء الجزائر، حاولوا جاهدين أن يكتبوا من خلال الوطن الثائر، فبدت فرنسا في أشعارهم مخيفةً، مرعبةً، مغتصبةً، ظالمةً، محتلة للأرض، ومؤسسة للسجون والمعتقلات والمحتشدات، كما بدت مسيطرةً، ماسكة بأسباب الصراع الحضاري»[2].و بهذه الطريقة حمل الشعراء على عاتقهم مهمة الدفاع عن الوطن بالقول والفعل، وتمحورت أشعارهم حول قضايا مشتركة، بالإصرار على الانتماء والاستقلال، والدعوة إلى التمسك بالأرض، «وتأكيد الدين والقومية والولاء للتاريخ، والدفاع عن اللغة العربية، والإشادة بدور المرأة في النضال، والنقمة على الاستعمار وما سببه من قهر وحرمان».[3]

وحتّمت عليهم استراتيجية الكفاح ضدّ الاستعمار، اتخاذ مواقف لا يستهان بها، خدمة للقضية الكبرى التي يعملون لأجل تحقيقها، والحقيقة إنّ الشعب الجزائري منذ القديم، ومنذ غزو الاستعمار لأرضه لم يفقد عروبته، ولم يفقد أصالته بصفته شعبًا عربيًا، لغته الضاد ودينه الإسلام، «وشعبنا عاش تجارب فذة، ومن واجب شعرائنا أن يسجلوها، ويعطوها بعضا من اهتمامهم وعنايتهم، حتى يوفوا حق الشعر والشعب عليهم»، [4] وبالفعل لم يتراجع شعراء الجزائر ولو للحظة عن تسخير أقلامهم، خدمة للوطن والشعب، وكان موضوع الهوية

الوطنية ومقوماتها المتمثلة في الدين الواحد واللغة المشتركة والوطن والتاريخ من أهم الموضوعات المطروحة، لأنها باختصار، تتعلق بالوجود والاستمرار، تتعلق بتأكيد الذات، انطلاقا من الحفاظ على مقوماتها.

ثانيا.الذات المبدعة/ أحمد سحنون:

عاش الشاعر "أحمد سحنون" (1907-2003) في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتأثر تأثراً شديداً لما آلت إليه الأوضاع في وطنه، وما خلفه الاستعمار الفرنسي من جهل وفقر وتخلّف، ومحاولة إبعاد الجزائريين عن قيمهم ودينهم، وقد كان الشيخ "أحمد سحنون" حافظا لكتاب الله عزّ وجلّ، ملمًّا بمبادئ اللغة العربية والشريعة الإسلامية، وكان مضطلعًا أيضا على كتب الأدب وعلومها، وسمح له تكوينه العلمي والديني بأن يمتلك وعيًا متميّزاً، فكان صاحب الصوت والكلمة، دائم التحذير من مكائد المستعمر، والتنبيه إلى أساليبه، وأسهم مع إخوانه العلماء في نشر الوعي الديني والوطني في أوساط الشعب، وبثّ الثقة في نفسه، ليرفع لواء الحرية والاستقلال، ويُطهّر وطنه من المستعمر وظلمه، والشاعر في الحقيقة، «يرتبط بأحداث عصره، لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد، وينفعل بما يصف، وإنّما هو يعيش تلك الأحداث، وهو صاحب تلك القضايا، والشعر محاولة لاستكناه الحياة، لا مجرّد الانفعال بها».[5]، وقد كان الشاعر "أحمد سحنون" منفتحاً على هموم أبناء شعبه، ملتزماً بقضايا وطنه.

ولم يتردّد الشاعر"أحمد سحنون" بعد الثورة في مساندتها، فكان من بين الشعراء الجزائريين المناضلين بالصوت والكلمة، بالقلم والسّلاح، حيث دافع عن الحرية، وعمل على غرس حب الوطن والدين في أبناء وطنه، وكان الهمّ الأكبر بالنسبة له، هو ضرورة الحفاظ على الهوية ومقوماتها، ليكون النصر والانتصار بعدها أمرًا كائنًا لا محالة.وقد أسهم الشعر الجزائري، ومنه شعر "أحمد سحنون" بصورة كبيرة في حفظ اللغة وتراثها وظلّ يعكس تمسك الجزائري بدينه.[6]

والمتتبّع للحركة الشعرية عند هذا الأخير، يدرك تمامًا، كيف أنه اتّخذ من الشعر وسيلة للإفصاح والإعلان، ومن ثمّ، وسيلة لاستعادة الذات والحفاظ عليها من الضّياع والتلاشي.

ثالثا.الشاعر/أحمد سحنون: هاجس استعادة الذات والحفاظ عليها:

كشف ديوان الشاعر "أحمد سحنون" عن مركب عجيب من الهموم والشواغل والهواجس التي يحملها في علاقاته مع الذات والأخر، وفي تواصله مع الحياة والمجتمع، ومع الوطن والعالم من حوله، حيث كان شديد الحرص على استحضار ذاته بثوابتها، وكثير ما ارتفع صوته داعيًا منبهاً أبناء وطنه إلى ضرورة الحفاظ على الهوية العربية ومقوماتها، في ظل الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي يسعى إلى طمسها بشتى الطرق، وقد تضمن هذا الديوان «نظرة شمولية، تمتدّ إلى الإنسان وقيمه، والحياة ومشاكلها، والتاريخ والمواقف الوطنية والعلمية والفكرية والاهتمام بأفكارهم وبطولاتهم»، [7] هكذا، حرص الشاعر على الإرث الحضاري والقومي لبلده الجزائر، وحضرت أشعاره بصفتها، صورة للضمير الإنساني اليقظ الذي ينبض بالحياة، فيبشر بكل ما هو إيجابي

وإنساني، وينبذ في مقابل ذلك كل ما هو سلبي، يناهض الشرّ والظلم، ويرفض ما يعكّر صفو الحياة ويزعزع ثباتها.

والملفت للانتباه على مستوى نصوصه الشعرية، هو بروز ثيمة الهوية الوطنية وعناصرها، وحرصه الشديد على استحضارها، مع الدعوة الملحة إلى ضرورة الحفاظ عليها والتمسك بمبادئها، وقد تجلى ذلك من خلال ما يلي:

أ. الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامي ومبادئه.

ب. الرفع من شأن اللغة العربية والإلحاح على ضرورة الحفاظ عليها.

ج. بروز الحس الوطني والتغني بالأرض والوطن.

د.استحضار التاريخ الوطني ببطولاته وشخصياته

رابعا. الهوية ومقوماتها في ديوان "أحمد سحنون":

1.الدعوة إلى التمسك بالدين الإسلامي:

يعبّر الدين عن الرابط الروحي الموجود بين أفراد المجتمع/ الشعب، فهو الذي يوحد مشاعرهم ويقوّيها ويحميها من الاندثار والتلاشي، ويعدّ من أهم الروابط التي تعمل على تقوية الوطن وتماسكه وصموده، ولقد اهتم الشاعر "أحمد سحنون" اهتماماً كبيراً بالفكر الديني، وجاءت نصوصه الشعرية، مشبعة بتعاليمه وعقائده، وآمن شأنه شأن كثير من الشعراء الجزائريين، بأن التمسّك بالدين وما نصّ عليه من تعاليم وقيم، هو أساس الفلاح والنصر، فكان شديد التذكير بضرورة التشبّث به ومبادئه.

يقول في قصيدة له بعنوان «من وحي الاستقلال»[8]:

يَا ابْنَ الجَزَائِرِ كُنْ عَلَى النِّعْمَى خَيْرَ شَاكِـــــــرْ
لاَ تَنْسَ أَنَّ اللهَ يَنْصُر مَنْ لِدِينِ اللهِ نَاصِـــــــرْ
وَاذْكُرْ بِأَنَّكَ كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ عَبْدًا عَبْدَ كَافِتــرْ !
والْيَوْمَ صِرْتَ مَنَارَةَ الْعِزِّ الَّتِي تَعْلُو الْمَنَابِـــــــــرْ

يلتفت الشاعر إلى أبناء وطنه في هذه الأبيات، داعيًـــا إياهم إلى تذكر فضل الله عز وجل عليهم، وتنبيههم إلى ضرورة التمسك بالدين الحنيف، فهو عنوان الانعتاق والعزة والكرامة، وما النَّصر إلا من عند الله عزَّ وجل.

ونجده في قصيدته «إلى التلميذ»[9]، يدعو الجيل الصاعد إلى النهوض، ويحثّه على طلب العلم، وحفظ كتاب الله عز وجل، وينبهه إلى ضرورة التضحية والجهاد في سبيل نصرة الوطن والحفاظ على دينه ولغته، يقول مخاطبًا الجيل الصاعد:

لُغَةُ الضَّادِ الَّتِي مَا بَرِحَتْ لُغَةُ الإِعْجَاز سِيمَتْ بِكَســـــــادِ !
دِينُكَ الإِسْلاَمُ فِي أَوْطَانِه نَالَهُ المَكْرُوه مِنْ أَيْدِي الأَعَـــــادِي

حتى يصل إلى قوله:

وَمَتَى تَقْدِي بِلاَدًا طَالمَا سَاسَا أَعْدَاؤُهَا فَالحرُّ هـــادِ؟
وَاقْرأْ الْقُرآنَ واعْرَفْ هَدْيَهُ إنَّه نَهجُ فَلاَحٍ وَسَـــــدَادِ

هكذا تحضر ثيمة الدين بمبادئه وتعاليمه في معظم قصائد الشاعر، فالدين بالنسبة له أساس الفلاح والانتصار والتحرّر، «وقد زخرت دواوين الشعراء بالقصائد التي تمجد الدين، وتدافع عن أصوله، وتدعو إلى الالتزام بعقائده، والتقيّد بشعائره، لأنه طريق الخلاص والتحرّر».[10] وقد أدّت التنشئة الاجتماعية للشاعر "أحمد سحنون" دوراً كبيراً في توطين الصلة بينه وبين الدين الإسلامي، حيث تربى بين جدران الزوايا، يحفظ القرآن الكريم ويضطلع على كتب الفقه والتفسير، فكان معظماً لشعائره، ملتزماً بعقائده وتعاليمه التي نص عليها.

بالإضافة إلى هذا، تجلّى تعلّق الشاعر بالعقيدة الإسلامية على مستوى عناوين نصوصه ومضامينها، فراح يستحضر كل ما يتعلق بها من أركان الإسلام والإيمان، معتزًّا، مفتخراً، دَاعياً إلى تقديسها وتعظيمها، والحفاظ عليها والالتزام بها.ويمكن الإشارة إلى ذلك في ما يلي:

1.1.رمضان/ الصوم:

تحضر لفظة «رمضان» في كثير من قصائد الشاعر وتتكرر من مقطع لآخر، مفصحا بذلك عن حبه الشديد لهذا الشهر العظيم وتعظيمه له، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين، وهم يترقبون قدومه بكل حب ولهفة، معلناً بذلك عن انتمائه الديني للعقيدة الإسلامية، وقد كان الشاعر حريصًا دومًا، على الدعوة إلى ضرورة استثمار شهر رمضان خير استثمار، بالذكر والصلاة والدعاء، وتلاوة القرآن، يقول في إحدى جلساته الدينية موصياً، داعياً، ناصحاً: «إن رمضان خير فرصة لفهم دينكم على حقيقته، فانتهزوا هذه الفرصة الثمينة، وتسابقوا إلى حلقات الدروس في ليالي رمضان الزاهرة، فجمعية العلماء حَبَتْ لهذا الميدان خير رجالها، ووزعتهم على القطر، فجعلوا من رمضان شفاء لنفوسهم ومظهراً لوحدتهم، وتضامناً وتجديدا لصلتهم بدينهم، وعلماء دينكم والله يهديكم ويقويكم».[11] ويحضر هذا الشهر الفضيل على مستوى نصوصه باعتباره، شهر العبادة والابتهال والتعاون، شهر الصبر والبرّ والإحسان، وخير شهر تطيبُ فيه النفوس وتتطهر، يقول في نص له بعنوان «رمضان»[12]:

رَمضَانُ شَهرُ البرّ وَالإحْسَانِ رَمَضَانُ شَهرُ الصَّوم وَالْقُـرْآنِ
رَمَضَانُ أُغْنِيَّةٌ بِكُلِّ لِسَـــانٍ رَمَضَانُ إنَّكَ غُرَّةُ الْأَزْمَـــانِ
رَمَضَانُ فِيكَ تَيَقَّظَ الْوَجـــدُ فَعَسَى تَعُود هَنَاءة الْأَوْطَـانِ

تتكرّر لفظة «رمضان» في كل مقطع من مقاطع هذه الأبيات، تأكيداً منه على المكانة الخاصة التي يحظى بها هذا الشهر الفضيل بين المسلمين، شهر العبادة والصبر والقوة، ينتصر فيه المؤمن الصائم على نفسه ويجاهدها، يتحمل جوعه وعطشه ويتغلب على شهواته وملذاته، فيتغلب في مقابل ذلك على عدوه وينتصر

عليه، و"رمضان" هو شهر النضال والجهاد، شهر التحرر والنصر، حيث كان في التاريخ الإسلامي عنوان الغزوات والحروب التي أعادت للمسلمين عزّتهم وقوتهم ومكانتهم.

يقول في قصيدة له بعنوان «ليلة الشَّك»[13]، يستحضر من خلالها شهر رمضان، شهر النصر والمجد والعزة

ذَلِكَ الشَّهْرُ الَّذِي يَغْمُرُنـــــــا
بِسَنَا النُّورِ الَّذِي يُشْعِرُنـــــــا
بِمَبَادِينَا وَمَا كَانَ لنَـــــــــــا؟
مِنْ بُطُولاَتٍ وَأَمْجَـادٍ غُـــــــرِ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن لحظات انتظاره لهذا الشهر الكريم، فهو شهر يغمُر المسلمين بالرحمة والغفران، يملأ وجوههم بالنور، ويمنحهم القوة والعزيمة للنضال والجهاد في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، وتبقى ذكراه مرتبطة دومًا بمجدٍ وبطولات وانتصارات، سطرها التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول صل الله عليه وسلم، في غزوة بدر الكبرى إلى فتح مكة المكرمة، وصولا إلى الفتوحات الإسلامية وما حققته جيوش المسلمين من نصر على قوى الكفر والشرك. ويبدو أن تعداد الشاعر لفضائل هذا الشهر وربطه بالجهاد والمجد والعزّة، كان بغرض بناء رموز دلالية، يسعى من ورائها إلى بعث الروح النضالية، وزرع الأمل بأن النصر آتٍ بإذن الله.

1.2.مكة المكرمة/حج بيت الله:

وكما تعدّدت القصائد التي ذكر فيها شهر رمضان، شهر العبادة والجهاد والصيام، تعدّدت أيضا القصائد التي ذكر فيها بيْت الله عزّ وجلّ، بصفته مكاناً مقدساً لأداء ركن من أركان الإسلام، ممثلا في حج بيت الله، يقول في نصه «هُنا وُلِدَ الإسلام»، [14] والذي نظمه عند زيارته للبقاع المقدسة سنة 1968:

هُنَا كلُّ شبرٍ مَنبعٌ لِلسَّنا هُنَـــــــا مَوَاطِئُ جِبْرِيل هُنَا الْبَيْتُ وَالْحَجَر
هُنَا زَمْزَم يَرْوِي الضَّمأَ هُنَـــا "الصَّفَا" وَ"الْمَرْوَةَ" يَسْعَى أَدِيمُهَا السَّفـــــرَ

حتى يصل إلى قوله :

هُنَا "غَارُ ثُورٍ" حَيْثُ كَانَ مُحَمَـدُ تَوَارَى وَنَسَجَ الْعَنْكَبُوتُ لَهُ شـرْك
هُنَا "أُحُدُ" مَثْوَى الْبُطُولَةِ وَالْفِدى هُنَا مُلْتَقَى النَّصْر الْعَظِيمِ هُنَا بَدْر
هُنَا مَكَّةُ حَيْثُ الْعُلَا حَطَّ رَحْلَـهُ هُنَا يَثْرِبُ حَيْثُ الْبَرَاءة وَالطُّهْـــر

يغلب على هذه الأبيات الشعرية طابع السرد، فالشاعر "أحمد سحنون"، في موضع الوصف والإخبار، عن هذا المكان المقدّس (مكة المكرمة)، هذه الأرض المحرمة الطاهرة المباركة، مكان نزول الوحي على خير الأنام، سيدنا وحبيبنا محمد صلوات الله عليه، هي موطئ جبريل عليه السلام، موطن الطهر والبراءة والمجد

والبطولة، مقصد العباد من كل حدبٍ وصوبٍ، وهو يسعى من وراء هذا الوصف للترغيب في زيارة هذا المكان المقدس، ولما لا إذا كان حج بيت الله يعدُّ ركنًا من أركان الإسلام التي على المسلم أن يطمح لبلوغه.

3.1.المساجد/ الصلاة:

تحضر إلى جانب حضور "مكة المكرمة"، المساجد أيضا، بوصفها مكانًا لأداء الصلوات، ومنبرًا تشعّ منه الأنوار، حيث دروس الوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الشاعر في قصيدة بعنوان «تعالوا إلى المسجد»:[15]

فَيَا أَيُّهَا الْأَنْفُسُ الظَّامِئَـــــاتُ إِلَىَ المَنْهَلِ الطَّيِّبِ المَـــوْرِدِ
تَعَالِي اسْمَعِي الحِكَمَ الخَالِـــدَاتِ وَسِيرِي إِلَى اللهِ لاَ تَقْعُـــدِي
لَقَدْ صَنَعَ المَسْجِدُ المُعْجِـــزَاتِ بِإِنْهَاضِ مُجتَمَعٍ مُقْعَـــــــــدِ
هُنَا يَسْتَغِيثُ جَاهِلٌ مِنْ عِمَـــى هُنَا مَنْ يُجِيبُ غَاوِيًا يَهْتَـــدِ

يكشف النص عن مدى تعلق الشاعر بالمساجد، حيث ترعرع بين أحضانها، يحفظ القرآن الكريم، ويقبل على مجالس الذكر، وحلقات الوعظ والإرشاد، ويحضر المكان الموصوف ممثلا في "المسجد"في نصه، بصفته مكانا متميّزًا، متفرداً، مختلفًا عن بقية الأمكنة، كونه منبع الصفاء والهداية والنور، هو المنبر الذي يقود إلى النهوض والتقدم والتحرّر (لقد صنع المسجد المعجزات بإنهاض مجتمع معقد)، إنه مكان مقدس به تتطهر القلوب، وتتحد الصفوف وتتوحد، وبه تبعثُ الهِمم، لتكون التضحية هي المطلب الأول بالنسبة لكل واحد فينا، في سبيل نصرة هذا الوطن ودينه، يقول في قصيدته «تعالوا إلى المسجد»[16]:

هُنَا النَّصْرُ لِلمُسْلِمِ الْمُهْتَـــدِي عَلَىَ كُلِّ مُسْتَعْمِرٍ مُعْتَـــــــدِ
هُنَا يَتَحَرَّرُ عَبْدُ الهَـــــوَى وَيُصْبِحُ فِي عِزَّةِ السَّيِّـــــــدِ !
لَقَد طَلَعَ الفَجرُ يا ابْنَ الشَّمَالِ فَقُمْ شَاهِدِ النُّورَ لاَ تَرْقُـــــــدِ
وَوَاصِلْ خُطَاكَ بِدَرْبِ الحَيَـــاةِ سَتَجْنِي ثِمَارَ الْمُنَى فِي غَـــــدِ

راح الشاعر يتحدث بهذه الطريقة عن المسجد بصفته، منارة النصر والانتصار، وأخذ يبذر الأمل في نفوس الشعب، ويمنحهم الثقة والتفاؤل بغدٍ مشرقٍ، تنقلب فيه الموازين بين أبناء هذا الوطن وبين المستعمر الذي سيتحول إلى عبدٍ منهزم.

وما يمكن الإشارة إليه، فيما يخص الجانب الديني، كأهمّ عنصر من عناصر الهوية الوطنية الذي يجمع أبناء الوطن الواحد ويوحدهم، هو كثرة قصائد الشاعر "أحمد سحنون" التي تمحورت حول ذكر المناسبات الدينية بمختلف أنواعها، والتذكير بفضائلها وقيمها ومكانتها بالنسبة لمجتمع عربي مسلم، يحرص على إحيائها، والاحتفال بها كل ما حان وقتها، ونذكر بعضاً من هذه القصائد التي احتفت بالمناسبات الدينية (قصيدة بعنوان محرم، ذكرى الإسراء والمعراج، يوم بدر، ذكرى بدر، ذكرى نزول القرآن، يا لها من ليلة، ليلة المولد النبوي، يا عيد) وغيرها من القصائد الأخرى.

هكذا، كان البعد الديني حاضرًا على مستوى النصوص الشعرية، وانطبعت قصائد "أحمد سحنون" بالطابع الإسلامي، فجاءت مشبعة بالألفاظ القرآنية، مثقلة بالدلالات الإسلامية، تدعو إلى التمسك بالمبادئ والقيم الدينية، مع استثمار أسلوب الإقناع في توصيل الأفكار والمعاني، والحرص الشديد على اتخاذ هذا الدين سبيلا للانتصار على المستعمر، وجعله ركيزة أساسية في المجتمع، من شأنها حماية الوطن من الضياع والتلاشي، فالدين في النهاية هو طريق الوحدة والتّماسك، وهو عنوان الوجود والبقاء.

2. الإشادة باللغة العربية/ لغة الضاد:

تُعدّ اللغة من المقومات الأساسية لتكوين أمة من الأمم، فهي وسيلة التواصل المشتركة بين أبناء الوطن الواحد، تعمل على تقوية أواصر الترابط والتلاحم بين أفراد الشّعب، ومن ثم، تعمل على تنمية الشعور المشترك بالوحدة الوطنية عندهم.

وقد وعى الشاعر "أحمد سحنون" على غرار شعراء الجزائر وكتابها، أهميتها في معركة المصير، وألحّ على ضرورة «التشبّث باللغة العربية، على اعتبار أنها المقوم الذي يحفظ للجزائر شخصيتها الوطنية والقومية معًا، وعلى التمسك بالعروبة، وبالدين الإسلامي بالخصوص باعتباره القيمة التي تحافظ على عقيدة الشعب، لأن الشعب الذي لا عقيدة له يسهل ابتلاعه ومسخه».[17]

وقد راح يُفصح عبر نصوصه الشعرية عن حبّه الشديد للغة العربية، ويُخبر عن سحرها وجمالها ومكانتها وتاريخها، يقول في قصيدة له بعنوان «لغتي !»[18]:

لُغَتِي هَوَاهَا لِي نَشِيـــــــــد
حُبِّي لَهَا أَبَدًا جَدِيـــــــــد
سَأُعِيْدُ مَاضِيهَا الْمَجِيـــــــــد
غَضًا كَشَمْسٍ لَمْ تَغِـــــــــب

يشكّل حبَّ الشاعر للغة هنا، بعدًا وجودياً حيث ارتبط بعشقه لتاريخها وماضيها التليد، الذي أراد العدو محوه انطلاقا من سعيه للقضاء عليها، ولهذا يؤكّد الشاعر، على ضرورة استرجاع ماضيها المجيد واستعادته.

وما يلفت انتباه القارئ وهو يقلّب صفحات ديوان "الشيخ أحمد سحنون"، هو الحضور المكثّف والطّاغي "للغة الضاد" على مستوى نصوصه الشعرية، حيث لا تكادُ تخلو قصيدة من استحضاره للغة، والحثّ على ضرورة رفع لوائها عاليا (وارفع لواء الضاد)، لأنها لغة القرآن والعلم والعلماء، ويظهر أن حمايتها والحفاظ عليها، قد أصبح مسؤولية الجميع، أو قل مسؤولية كل عربي مسلم، ولقد «كان الحفاظ على العربية المطلب الدائم لدى كل الحركات الإصلاحية والأحزاب والتكتلات»[19]، من أجل التوعية، والتأكيد عليها بوصفها عنصرا من عناصر الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري.

يقول الشاعر "أحمد سحنون" في قصيدة بعنوان «وفد العروبة»[20]:

فَمِنَ العَجَائِبِ أَنْ يَظَلَ ابْنُ العُرُوبَـــةِ أَعْجَمَـــا
وَيُرى بِغيْرِ لِسَانِـــــهِ فِي أَرْضِـــهِ مّتكَلّمَـــا
مَنْ لَـمْ يَكُـــنْ بِتُرَاثِـــهِ يَعْتَـزُّ لَـمْ يَكُ مُسْلِمَـا

إنَّ التحدث باللّغة الأم (اللغة العربية) على أرض الوطن من الأمور الواجبة على العربي/صاحب الأرض، وليس من المعقول في نظر الشاعر أن يستبدل لغته بلغة الآخر، وليس من المقبول أن يتكلم بغير لغة الأجداد والأسلاف، ويبقى الاعتزاز "بلغة الضاد" والحفاظ عليها، من مهام كل عربي مسلم غيور على دينه وتراثه وأرضه، ويمكن الإشارة هنا، إلى أن الشاعر "أحمد سحنون" كثير ما راح يجمع بين الدين واللغة، فحضور طرف يستدعي بالضرورة حضور الطرف الآخر، إنهما وجهان لعملة واحدة تحيلُ في النهاية، على الهوية العربية الأصيلة، ولقد كان الاعتقاد بل الإيمان عند الشاعر "أحمد سحنون" ومن نهج نهجه« أنه لا يمكن أن تكون هناك نهضة ما لم يكن هناك تحكم في اللغة وتفقه في الدين»[21].

هكذا، تحضر لغة الضاد على مستوى نصوصه باعتبارها، العنوان والهوية (بني الضاد، أمة الضاد)، يقول في قصيدة له بعنوان «إلى المعلم»[22]:

لاَ تَقُلْ شَمْسُ بَنِي الضَادِ اخْتَفَتْ وطوَتْ أَيَامَهُم سُودٌ عـــــــــــوادِ!
إنَّ دَوَى النَّبْتُ فَإِنَّ البـــــــــــذرَ بَاطِنَ الأَرْضِ لَيَنْمُو فِي ازْدِيَـــادِ
لاَ تَضِقْ ذَرْعًا وَلاَ تَهْلَكْ أَسَـــى أُمَةَ الضَادِ سَتَحْظَى بِالْمُـــــــــرَادِ

إنّ حضور لغة الضاد، يعني بالضرورة، حضور أمة الضاد، يعني حضور العربي الأصيل المقدام، الذي سينهض مدافعًا عن مطلبه ومراده المتمثل في الحرية والاستقلال.

ولغة الضاد هي في الحقيقة لغة شعب عربي قويّ، لن يستسلم ولن يتراجع في سبيل نصرتها والإعلاء من شأنها.

ونجده يركّز دومًا على «اللغة باعتبارها، إحدى المقومات التي تربط بين أبناء العروبة، وينوّه بها وبعراقتها وأصالتها، كلغة وأداة تعبّر عن ماض الأمة العربية، ووحدة العرب».[23]

يقول الشاعر "أحمد سحنون" في قصيدته الموسومة بـ «واضيعتا للغة الأحرار»[24]:

يَا لُغَةَ السُّؤْدُدِ وَالفَخَـــــار !يَا لِسَانَ السَادَةِ الأَخْيَـــــــار
نَحْمِيكِ بِالأَرْوَاحِ وَالأَعْـــمَار مِنَ السُّقُوطِ وَمِنَ العِثْـــــــار
وَنَقْتَدِي بِالصَّفْوَةِ وَالأَخْـــرَار مِنَ المُهَاجِرِين وَالأَنْصَـــــــار
فَنُصْبِحِينَ لُغَةَ "المَلْيَـــــــارلَا لُغَةَ الصِّفْرِ عَلَى اليَسَـــــــار

إنّ حسرة الشاعر على اللغة العربية، وما آلت إليه بسبب أعدائها، لم تصل إلى درجة اليأس والإستسلام، لقد كانت مدفوعة بيقين قاطع، بأن النصر آتٍ لا محالة، كيف لا وهناك جند من الأبطال والمحاربين، الذين يدافعون عنها بالنفس والنفيس، ويكرسون أرواحهم وأعمارهم لخدمتها والرفع من شأنها.

هكذا يُعد التمسك باللغة بالنسبة للشاعر، سبيلا للحفاظ على الكيان المستقل لهذا الوطن، وتأكيدا على وجوده وصموده في وجه الاستعمار الذي أراد القضاء عليه وعلى مقومات هويته، ولم يكن التغنّي باللغة العربية واستحضارها في قصائده، بدافع عاطفي بقدر ما كان عقيدة لديه، تتكرر باستمرار وتلحُّ عليه، لهذا نجده يتحدث عنها بتلك الروح الجيّاشة، وبالحماس الصادق والحب العميق، وهو مستعدٌّ لأن يفديها بروحه ودمه، فلا شيء يعزُّ في سبيل نصرتها والدفاع عنها.

3. التعلق بالوطن والأرض:

لقد أدخل شعراء الجزائر قضية الأرض في صلب أشعارهم، وأكدوا على ضرورة الاستجابة لنداء الوطن الذي لا يُرد مهما بلغ قمع الأعداء والمستغلين، وشهدت ثيمة الوطن أو الانتماء إلى الأرض، حضورًا مكثّفًا على مستوى النصوص الشعرية الجزائرية، باعتبارها، رمزًا من رموز الهوية الوطنية، وإحدى مقوماتها الأساسية «وكان تمسك الجزائريين بأرضهم كتمسكهم بأجدادهم ودينهم ولغتهم، تعبيراً غير مباشر عن رفضهم لكل دخيل غريب».[25]

واحتلّت ثيمة الوطن، مكانة عظيمة عند الشاعر "أحمد سحنون"، «فهو من الجيل الذي عاش الثورة التحريرية ومارسها وعبّر عنها بصدق».[26] وهذا ما يبرر شدة التصاقه بوطنه، حيث عبّر في عديد من قصائده عن علاقته الوطيدة بأرضه ووطنه، وكانت العلاقة التي جمعته بأرضه، شبيهة بعلاقة العاشق بمعشوقه، فالوطن بالنسبة له هو الحب و الحضن والولادة والأمومة والفرح والأمل والوفاء والعطاء، إنه يعني الإيجابية بكل معانيها، يقول في قصيدة بعنوان «الفدائي»[27]:

جُدودِي حَمُوا أَرْضَكِ المُخْصَبَـــــهْ
وبَرُّوا بأُمِّهم الْمُنْجِبَـــــــــــــهْ !
فَلَمْ يَعْرِفُوا العَيْشَةَ الْمُجْدِبَـــــــهْ
ومَاتُوا عَلَيْك وعَاشُوا لَـــــــــكِ

يرى الشاعر في أبياته هذه، أن التجنّد للدفاع عن أرضه المقدسة والموت لأجلها، يعتبر من باب البرّ والإحسان ، فهي الأم الرؤوم، والحضن الدافىء، منبع السلام والوجود، عنوان الحياة والأمل، ومن ثم فهي تستحق التضحية والجهاد والاستشهاد، لأجل أن تبقى شامخة، وقد وعى الأجداد والأسلاف قيمة الوطن أو الانتماء إلى الأرض، فحافظوا عليها(ماتوا لأجلها وعاشوا لها)، وهو بهذا يريد أن يَدفع شباب الجزائر ورجالها للسير على دربهم، ورفع راية الجهاد في سبيل نصرتها، هكذا، تتحول الكتابة عند الذات المبدعة/ الشاعر" أحمد سحنون" إلى أداة للتحرر، «فأنْ تكتب يعني ألا تكرس الهزيمة، ويعني أن تراهن على الحرية وعلى المستقبل»[28]، يقول في قصيدة «البطل»[29]:

رَأَى أَرْضَ أَجْدَادِهِ الْغَالِيَـــة تَحَكَّمَ فِيهَا الْعَدَوُّ وَسَـــــادَا !
فَأَعْلَنَهَا ثَوْرَةً حَامِيَـــــهْ !تُقَوِّضُ مَا قَدْ بَنَاه وَشَـــــادَا

وَهَبَّ كَعَاصِفَةٍ عَاتِيَـــــــهْ يُبِيدُ الشُّرُورَ وَيَمْحُو الْفَسَـادَا

أرض الجزائر إذن، هي أرض الأمجاد والأحرار، أرض البطولة والثورة، ولقد سار أبناؤها على خطى الأجداد، وعقدوا العزم بأن تحيا الجزائر حرّةً أبية، « فالقيم الواحدة تحمل لنا سرّ انتمائهم إلى جذور واحدة، وأرض واحدة، وحياة واحدة»، [30] فالدماء العربية تجري في عروقهم جيلا بعد جيل.

ويقول في قصيدة بعنوان «بمناسبة إيقاف القتال» [31]:

الْيَوْمَ يَنْعَمُ بَـــــالُ كُلَّ شَهِيـــدِ فِي خُلْدِهِ وَيُقِيمُ أَعْظَـمَ عِيْـد

الْيَوْمَ يَفْتَخِرِ الْأَمِيـــرُ بِنَسْلِـــــــهِ وَيَقُولُ أَبْنَائِي وَفُوا بِعُهُـودِي

وَبَنُوا كَمَا أَبْنِي وَشَادُوا لِلْعُلاَ مِثْلِي وَزَادُوا فِي الْفِخَـارِ رَصِيـْـدِي

نستشعر في هذه الأبيات، امتلاء الذات المبدعة / ذات الشاعر، بحرارة اللحظة والحماس في الإعلاء من منزلة هذا الوطن، مهد الثورة والثوار، عنوان الشجاعة والتضحية، رمز النصر والانتصار، وقد قطع أصحابها العهد بأن يواصلوا الكفاح والتضحية حتى تُستعاد أرضهم من يد أعدائهم المحتلّين، وينعمون بحياة العزة والكرامة والفخر.

4. تمجيد التاريخ/ الشخصيات القدوة:

لقد لجأ شعراء الجزائر إلى استدعاء التاريخ العربي بشخصياته وأزمنته، في نصوصهم الحديثة والمعاصرة، معبّرين بذلك عن ارتباطهم بموروثهم وأسلافهم «وكان تمجيدهم للتاريخ العربي تعبيرا عن ارتباطهم بالجذور والسلف، وامتدادا لجهاد العرب عبر التاريخ، والتاريخ هو حافظ الجذور». [32]

وغالبًا ما كانت الظروف السياسية والاجتماعية، وفترات اليأس والضياع التي مرت بها الشعوب ومنها ما مرّ به الشعب الجزائري زمن الاحتلال الفرنسي، من الدوافع التي دفعت بالشعراء إلى استحضار الأزمنة الماضية، وتوظيف الشخصيات الدينية والتاريخية في نصوصهم الشعرية واستدعائها، بحيث تكون تلك الشخصيات بأسمائها وبطولاتها، بإنجازاتها وتواريخها، بمثابة الستار الذي يتخفى الشاعر وراءه، فيُعبّر عما يحسّ، يكشف المستور، يفضح ويعري تارة، يعدل ويصحح تارة أخرى، يؤكد ويعزز وفي الآن نفسه يزعزع ويستبعد، ليصل في النهاية إلى نشدان عالم أجمل، انطلاقا من عقد مقارنة بين الماضي الحاضر معبراً بذلك عن قضية من القضايا، والأكيد «إن الشخصيات التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعرائنا المعاصرين، هي تلك التي ارتبطت بقضايا معيّنة، وأصبحت في التراث رمزًا لتلك القضايا، وعناوين لها، سواء كانت تلك القضايا دينية أو سياسية أو اجتماعية، أو فكرية أو حضارية أو عاطفية أو فنية، ولقد كان الشعراء يتأولون بعض جوانب حياة الشخصية التراثية، لتصبح عنوانًا على القضية التي يريدون أن يحملوها عليها». [33]

ولقد كان الشاعر "أحمد سحنون"من بين الشعراء الذين أسهبوا في استحضار العديد من الشخصيات- دينية، تاريخية، وطنية- التي يجب أن نقتدي بها، ونرفع من شأنها، فنعمل بما عملت، ونقتفي أثرها، لنكون خير خلف لخير سلف ، ولعلّ أعظم شخصية نالت الحظ الوافر من الحضور على مستوى نصوصه، هي شخصية

سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث استحضرها في معظم قصائده، وخصّها بمجموعة من القصائد منها "شهاب محمد"وقصيدة "عظمة محمد صلى الله عليه وسلم"[34]، حيث يقول في هذه الأخيرة:

إنَّ العَظِيمَ الَّذِي مُذْ جَـاءَ أُمَّتَـــهُ سَادَتْ بِهِ أُمَمًا سَادَتْ مَدَى الزَّمَـــنِ
حَلَّتْ مَحلاً بِه مَا حَلَّهُ أَحَـــــدا وَحَلَّمِنْهَا مَحَلَّ الرُّوحِ وَالبَـــــــدَنِ !
مَنْ ذَاكَ ؟ مَنْ ذَا تَحَدَى كَلَّ ذِي عَظِيمٍ فِي الكَوْنِ ؟ إِنْ لَمْ يَكُن مُحَمداً فَمَـــنْ ؟

إن كل نص يحيل القارئ إلى مرجعيات، تاريخية، دينية، واقعية، والشاعر في نصه هذا، يعود بالقارئ إلى زمن الرسول صلوات الله عليه، حيث يستحضر شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلي من شأنها، فهي نبراسٌ أنار درب الأمة العربية والإسلامية، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وهو يستحضرها عن وعي ذاتي، باعتبارها الملجأ الذي يمكنه من تجاوز واقعه، ويمنحه الشعور بالثقة والاستمرار، وفلاح الأمة لن يكون إلا بالتمسك بديننا، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

واستحضر الشاعر أيضا، شخصية تعتبر من أعظم الشخصيات، لاسيما في الحركات الإسلامية منذ مطلع الخمسينات، وهي شخصية العالم/ المفكر "سيد قطب"هذا الرجل الذي تعرّض للإعدام والظلم، ولم يعرف أهل مصر قيمته، فراح يرثيه ويبكيه بصوت حزين في قصيدة عنوانها "ماذا جنَى قُطب؟"[35]

أَيُقْتَل "قُطب" أَيُّ خَطْبٍ مُزَلْزِلٍ؟ وَأَيُّ مُصَابٍ حَلَّ بِالأُمَةِ الثَّكْلَـــى ؟
أَيُعْدَمُ "قُطب" كَيْفَ يَقْبِلُ مُسْلِمٌ بِأَنْ يَفْقِدَ الإِسْلاَمُ قَائِدَهُ الأَعْلَـــى ؟
أَتَخْنِقُ مِصْرَ مَجْدَهَا وَتَـــدُوســـهُ؟ لَقَدْ عَدَمَتْ مِصْرَ الكَيَاسَةَ وَالعَقْلاَ

راح الشاعر يستحضر في هذه القصيدة شيخنا "سيد قطب"، رمز الحكمة والرزانة ورجاحة العقل، فاضحًا حكام البلاد في مصر، الذين عاثوا في الأرض فسادا وأقدموا على قتله.ونسمع حشرجة تخنق صوت الشاعر المبحوح بالألم، حسرة عليه وما تعرض له من ظلم وقهر، لقد راح يُدين هؤلاء الذين أقدموا على إعدام "سيد قطب" بغير وجه حق، وهو هنا يقودنا إلى الانفتاح على قضية المثقف والسلطة، فالمفكر/ العالم بالرغم من أنه نبض الأمة، وهو سمعها وبصرها وروحها وعقلها، كثير ما يجد نفسه محاصرا مقيدا من طرف أصحاب السلطة، بل كثير ما يُحال على الصمت أو يتعرض للتعذيب والقتل، والواقع إن عصورنا العربية والإسلامية الزاهرة، ظلت شاهدة على هذا النوع من القتل والتنكيل ضد العلماء والمفكرين، فقد قُتل "ابن المقفع" لقاء فكره الذي لم يخش التعبير عنه، ومازالت الأجيال العربية تعاني المساس بحريتها الفكرية والشخصية حتى الآن، ولعل الشاعر يريد أن يُلفت الانتباه إلى ضرورة رفع الحصار على هؤلاء المفكرين، واعتبارهم السند القوي الذي يحرر الإنسان من الجهل والضعف والخوف والتبعية.

إضافة إلى هذا، عمد الشاعر أيضا إلى استحضار مجموعة من الشخصيات مثل "البشير الإبراهيمي"، "عبد الحميد بن باديس" وهما من رواد حركة الإصلاح بالجزائر، التي كانت تسعى إلى تلقين الناشئة بالسليقة اللغوية السليمة، وتربيتهم على القرآن وتدارسه، حتى تعلق قلوبهم بحبه، ليكونوا خير خلف لأسلافهم وأجدادهم،

«وكان القصد من وراء ذلك الحفاظ على الهوية الحضارية للأمة الجزائرية، التي عمل ويعمل الاستعمار الفرنسي بشتى الوسائل من أجل إلغائها، كما كان التركيز على اللسان العربي بمرجعية قرآنية، دلالة على مقاومة العُجمة التي توشك أن تأتي على سلامة النطق والعربية في الجزائر».[36]

حيث يقول في قصيدة له بعنوان"عبد الحميد بن باديس"[37]، مؤكدا على المجهودات التي بدلها هذا الأخير في سبيل نصرة الجزائر ورفعها عاليا:

بَادِيسُ يَا حُبَّ الجَزَائِرِ يَا شَهِيدَ غَرَامِهَـــــا
وَحُسَامَهَا الحَامِي حِمَا هَا مِنْ مُرِيدٍ حِمَاهَـــا
ومُعِيدَ غَابِرَ مَجْدِهَـــا وَالبيضَ مِنْ أَيَامِهَـــا

فمثل هذه الشخصيات، التي حملت على عاتقها هذه الرسالة النبيلة، وتصدت للعدو بكل ما أوتيت من قوة وعزيمة وسداد الرأي، وأعادت للجزائر مجدها وعزتها، تستحق أن تخلد، وتبقى راسخة في الذاكرة الجزائرية وذاكرة الأمة العربية جمعاء.

وللشاعر "أحمد سحنون"عديد من القصائد التي استدعى فيها شخصية "عبد الحميد بن باديس"(قصيدة الذكرى الثالثة للشيخ عبد الحميد بن باديس، (روح باديس). مما يؤكد تأثره العميق به وحبه الشديد له، واعتزازه الكبير وافتخاره بهذه الشخصية الفذة.

يحضر إلى جانب شخصية الشيخ "عبد الحميد بن باديس" العلامة "البشير الإبراهيمي" باعتباره، علما من أعلام العلم والفكر والنضال، عمل على تحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع، وسخر علمه وقلمه لخدمة وطنه والدفاع عن اللغة العربية، وعليه إذا كان" الإبراهيمي" قد رحل عنا جسدا، فإنـــه حي بروحه وعلمه، حي بتضحياته ونضالاته، وستبقى ذكراه راسخة في القلوب والعقول: يقول في قصيدة بعنوان "الذكرى الأولى لوفاة الإمام محمد البشير الإبراهيمي": [38]

لاَ تَقُلْ يَا نَاعِيَ الأَحْرَارِ مَاتَـــــا لَمْ يَمُتْ مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ الحَيَاتَـــــا
إِنَّهُ أَحْيَا بِلاَدًا لَقِيَـــــــــــــتْ !حَتْفَهَا جَهْلاً وَضعْفًا وَشَتَاتَـــــا
وأَمَاتَ الجَهْلَ وَالدَّجَالَ بِمَـــــا عَلَّمَ الشَّعْبَ عُلاَمًا وفَتَاتَـــــا !

هكذا، عمل الشاعر" أحمد سحنون"، على استحضار مجموعة من الشخصيات العظيمة(دينية، تاريخية، وطنية) التي كرست حياتها خدمة للدين والعلم والوطن، رافعاً من شأنها، مشيداً بانجازاتها وإصلاحاتها، داعياً إلى ضرورة تخليدها والاقتداء بها، لأنها عنوان الفلاح والصلاح والنجاح.

خامسا.خاتمة:

لقد توصلنا في نهاية هذه الورقة البحثية، حول مقومات الهوية الوطنية وتجلياتها في شعر "الشيخ أحمد سحنون"إلى النتائج الآتية:

-يعدّ الشاعر الجزائري "أحمد سحنون" من الشعراء الوطنيين الثوريين الغيورين على أوطانهم، حيث كرس حياته وقلمه خدمة للوطن وقضاياه.

-كشفت نصوص الذات المبدعة/أحمد سحنون، عن رؤية نضالية مقاومة، تؤمن بضرورة التصدي للاستعمار وأهدافه ومخططاته، التي تفنن في حبكها من أجل القضاء على مقومات الهوية الجزائرية والعربية.

-رصد تشكلات عناصر الهوية الوطنية في ديوانه الشعري، حيث جاءت نصوصه مشبعة بالروح الوطنية، تجسدت من خلالها تجربة الشاعر مع وطنه، حيث كان حريصاً على الإعلاء من شأنه وشأن مقوماته، معتزاً بوطنيته وثقافته وانتمائه، كما كان حريصاً على توعية الناشئة بضرورة الحفاظ على هذا الوطن، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل نصرته كما فعل أجدادهم وأسلافهم.

- تضمن ديوان الشاعر نظرة شمولية، امتدت إلى الإنسان والمجتمع وقضاياه، والمواقف الوطنية، والدعوة إلى ضرورة التشبّث بمقومات الهوية الوطنية(الدين، اللغة، الأرض). انطلاقا من العمل على ترسيخ الحضور الديني الذي يكرس الأخلاق السامية ويقود إلى النصر والانتصار لا محالة، والإعلاء من شأن اللغة العربية، باسترجاع مجدها وعزّتها، مع الاهتمام بالتاريخ وتمجيد شخصياته، والتذكير بمآثرها، والتنبيه إلى ضرورة الاقتداء بها.

-يعدُّ هذا الديوان الشعر يمن الروافد الأساسية للثقافة الوطنية والهوية الجزائرية في شموليتها، فهو وعاء يزخر بالقيم الوطنية والحضارية والثقافية المرتبطة بروح الشعب وكيانه

ـــ ويبقى نشر الوعي بضرورة بعث الروح في الإنتاج الشعري الجزائري والاهتمام به، من أجل استكشاف قيمه وطاقاته ومحاولة الاستفادة منها انطلاقا من ربط المتلقي/القارئ بوطنيته وتاريخه وثقافته، من المطالب الأساسية بالنسبة للدارسين والباحثين.

هوامش:

[1]- شلتاغ عبود: حركة الشعر الحر في الجزائر، (2005) ، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، ط1، ص 80.

[2]- عمر بوفرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، (2004)، دار الهدى للطباعة والنشر(الجزائر)، د ط، ص 10.

[3]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، (2009)، دار الأصالة للنشر والتوزيع(الجزائر)، دط ، ص 129.

[4]- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث، (2009)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع(الجزائر)، دط، ص 163.

[5]- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (2007)، دار الثقافة (لبنان)، دط، ص 457.

[6]- ينظر: نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، ص 130.

[7]- محمد العريبي: القيم الأخلاقية والسياسية في الشعر اللبناني، الملتقى العربي الثاني للأدب الشعبي بعنوان(الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة). الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، بتاريخ24 /26 فيفري، 2009، ص 168.

[8]- أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، (2007)، منشورات الحبر(الجزائر)، ط2، ص 104.

[9]- المرجع نفسه، ص 16.

[10]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 248.

[11]- أحمد سحنون: دراسات وتوجيهات إسلامية، (1992)، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، ط2، ص 56.

[12]- الديوان، ص 136.

[13]- المصدر نفسه، ص 205.

[14]- المصدر نفسه، ص 231.

[15]-المصدر نفسه، ص 132.

[16]- الديوان، ص 132.

[17]-عبد الله ركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، (2009)، دار الكتاب العربي(الجزائر)، دط، ص 19.

[18]- أحمد سحنون: الديوان، ص 319.

[19]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 92.

[20]- أحمد سحنون: الديوان، ص 139.

[21]- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، (2001)، دار البعث (الجزائر/ قسنطينة)، دط، ص35.

[22]- الديوان، ص 14.

[23]- عبد الله ركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، ص 30.

[24]- أحمد سحنون: الديوان، ص 134.

[25]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 313.

[26]- محمد زتيلي:فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، (1984)، دار البعث للطباعة والنشر(الجزائر/ قسنطينة)، ط1 ص66.

[27]- الديوان، ص 89.

[28]- محمد زتيلي:فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائري، ص49.

[29]- الديوان، ص 86.

[30]- حسين جمعة: ظاهرة الانتماء في القصيدة الجاهلية، (أبريل1996)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب(سوريا)، ع 63، ص 99.

[31]- الديوان، ص 78.

[32]- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 252.

[33]- زايد علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (1997)، دار الفكر(مصر)، د ط، ص 138.

[34]- أحمد سحنون: الديوان، ص 237.
[35]- الديوان، ص 263.
[36]- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، ص32.
[37]- الديوان، ص 263.
[38]- الديوان، ص 253.

قائمة المصادر والمراجع :

1.المصادر:

1- أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، (2007)، منشورات الحبر(الجزائر)، ط2.

2.المراجع:

2- أحمد سحنون: دراسات وتوجيهات إسلامية، (1992)، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، ط2.
3- زايد علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر(1996)، دار الفكر(مصر)، دط.
4- شلتاغ عبود: حركة الشعر الحر في الجزائر، (2001)، المؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)، ط1.
5- عبد الله ركيبي : قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، (2009)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع(الجزائر)، دط.
6- عبد الله ركيبي : دراسات في الشعر الجزائري الحديث، (2009)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع(الجزائر)، دط.
7-عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، (2001)، دار البعث (الجزائر/ قسنطينة)، دط.
8- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، (2007)، دار الثقافة (لبنان)، دط .
9-عمر بوفرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، (2004)، دار الهدى للطباعة والنشر (الجزائر)، دط.
10-محمد زتيلي:فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية، (1984) دار البعث للطباعة والنشر (الجزائر/قسنطينة)، دط.
11- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، (2009)، دار الأصالة للنشر والتوزيع(الجزائر)، دط.

3.المجلات:

1. حسين جمعة: ظاهرة الالتفاء في القصيدة الجاهلية، (أبريل1996)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب(سوريا)، ع 63.

4.الملتقيات:

1.محمد العريبي: القيم الأخلاقية والسياسية في الشعر اللبناني، الملتقى العربي الثاني للأدب الشعبي بعنوان(الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة). الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، بتاريخ24 /26 فيفري، 2009.